

القرار في البيت أصل السّتر والحفظ للمرأة

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي بيّنَ الحلالَ والحرامَ، ومازَ الحقَ مِنَ الباطلِ، وأوضَحَ سبيلَ الهدى ورَغَّبَ فيه، وكرَهَ الآثامَ وتوعَّدَ بالعقابِ عليها، وأشهدُ أن لا إلهَ اللهُ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولهُ، والصلاةُ والسلامُ على خاتمِ أنبيائه، وسيدِ الناسِ يومَ القيامةِ، وعلى أزواجهِ وذُرِّيَّتِهِ وباقي آلِ بيتهِ وأصحابِهِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى بُلُوغِ الأجلِ والمِقاتِ.

أما بعدُ، أيها المسلمون:

فإنَّ قرارَ المرأةِ - سدَّها اللهُ - في بيتها وإقلالها الخروجَ منه: أصلُ السّترِ لها، وبابُها الأقوى، وسياجُها المنيعُ، وأمُّها الكبيرُ، وجمّاهُ الأكيدُ، وحفظُها الفعّالُ، وسلامتُها العظيمةُ، وغطاؤها الأجلُّ، وزينتها الأطيبُ، ولباسُها الجليلُ.

حيثُ يسلمُها ويجنبُها القرارُ في البيتِ من: شرورِ الفتنِ وأضرارِها، وشرورِ الفاتنينَ والمفتونينَ، فيسلمُها من فتنِ الأنظارِ، وفتنِ الاختلاطِ، وفتنِ التّحرُّشِ والمعاكساتِ والملاحقاتِ والاعتداءِ، وفتنِ العابثينَ والعابثاتِ، وفتنِ المُفسدينَ والمُفسداتِ، وفتنِ كلامِ الناسِ عليها، وفتنِ الميولِ إلى من يُغازِلُها أو يكيدها ويمكُرُ بها بكلامٍ خاضعٍ معسولٍ مُنمَّقٍ مُجمَلٍ، وفتنِ ضَعْفِ دينِها وحُلِقِها وحِسمَتِها وحيائِها.

وهي وإن سلمت في نفسها إن أكثرت خروجها بلا حاجةٍ مهمّةٍ وضرورةٍ وسببٍ وجيهٍ: فقد لا يسلمُ منها أناسٌ كُثُرٌ، فتفتنَ مريضَ القلبِ، ضعيفَ الإيمانِ، ناقصَ الغيرةِ، صغيرَ النفسِ، وتجرُّه إلى النظرِ المُحرَّمِ، والاستلذاذِ المُحرَّمِ، والنُّطقِ بالحرامِ، والتخطيطِ للحرامِ، وفعلِ الحرامِ، والمرأةُ لها فتنَةُ عظيمةٌ، والشيطانُ يكيدها ويكيدها كثيرًا، وقد أخرج البخاريُّ ومُسلمٌ عن النبي ﷺ أنه قال: **((مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))**، وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: **((إِنَّ المَرَأَةَ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا))**.

ولهذا جاءتْ نصوصُ شريعةِ الإسلامِ الجلييلةِ الرفيعةِ: بالأمرِ بهذا القرارِ الكثيرِ في البيتِ للمرأةِ، وتقويتهِ وتزيينه، والترغيبِ فيه، والإشادةِ به، وتعظيمِ أجوره، وتعديدِ فوائدهِ وخيراته، وإظهارِ فضائله، وتبيينِ مفسدِ وأضرارِ التهاونِ والتقصيرِ فيه، والإخلالِ به، والعُدولِ عنه، وعلى المرأةِ، والأسرةِ، والعائلةِ، والقبيلةِ، والمُجتمعِ، والبلادِ، والدينِ والإيمانِ.

وَدُونَكُمْ - سَلِّمُكُمْ اللَّهُ - بَعْضَ الْأَوْجُهِ فِي تَقْوِيَتِهِ وَتَأْكِيدِهِ وَتَجْمِيلِهِ وَتَحْبِيبِهِ:

الوجه الأول: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَمَرَ النِّسَاءَ بِالْقَرَارِ فِي الْبَيْتِ.

حَيْثُ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَمْرًا: { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي "تَفْسِيرِهِ" عَنْ مَعْنَى هَذِهِ لَايَةِ: «أَي: الزَّمَنَ بُيُوتَكُنَّ فَلَا تَخْرُجْنَ لِغَيْرِ حَاجَةٍ». اهـ.

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ عِنْدَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِلَّا بِمَا هُوَ أَصْلَحُ وَأَحْفَظُ وَأَسْلَمُ وَأَجْمَلُ لَهُنَّ فِي دِينِهِنَّ وَدُنْيَاهُنَّ، وَفِي سَائِرِ أحوالِهِنَّ وَأَعْمَارِهِنَّ وَأَوْقَاتِهِنَّ، وَأَفْضَلُ لِأَهْلِهِنَّ وَمُجْتَمَعِهِنَّ وَبِلَادِهِنَّ.

الوجه الثاني: ترغيبُ النساءِ في الصلاةِ ببُيُوتِهِنَّ، وتفضيلُ صلاتِهِنَّ في البيتِ على صلاةِ المسجدِ، لأجلِ أنْ يبقينَ في البيوتِ أكبرَ قدرٍ.

حَيْثُ ثَبِتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِامْرَأَةٍ سَأَلَتْهُ الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ: ((صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ)).

وَتَأْمَلُوا - فَفَهَكُمُ اللَّهُ -: حَالِ هَذِهِ الْأَفْضَلِيَّةِ لِلصَّلَاةِ فِي الْبَيْتِ عَلَى الْمَسْجِدِ، مَعَ أَنَّ الْمَسْجِدَ لِقَوْمِهَا، وَرُؤَادُهُ أَوْ أَكْثَرُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا وَقَبِيلَتِهَا، الَّذِينَ هُمْ أَحْفَظُ النَّاسِ لَهَا، وَأَخَوْفُهُمْ عَلَيْهَا، وَأَسْتَرُّهُمْ لَهَا، وَأَغْيَرُهُمْ فِي شَأْنِهَا.

الوجه الثالث: تبيينُ أنَّ المرأةَ أقربُ ما تكونُ مِنْ رَبِّهَا إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا.

حَيْثُ ثَبِتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا)).

ولا ريبَ: أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ امْرَأَتُهُ وَبِنْتُهُ وَأُخْتُهُ قَرِيبَةً مِنَ اللَّهِ رَبِّهَا وَخَالِقِهَا، وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ حَالٍ، وَهَذَا قَدْ جَاءَكُمْ وَجَاءَهَا طَرِيقٌ عَظِيمٌ يُقَرِّبُ مِنَ اللَّهِ كَثِيرًا، وَهُوَ الْقَرَارُ فِي الْبَيْتِ، فَادْعُوا نِسَاءَكُمْ إِلَيْهِ بِاسْتِمْرَارٍ، وَأَعْيِنُوهُنَّ عَلَيْهِ، وَلْتَكُنَّ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ مِنْ أَهْلِهَا، وَلْتُجَاهِدْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، وَتَصْبِرْهَا فِيهِ، وَتَتَذَكَّرَ فَوَائِدَهُ الْجَلِيلَةَ، وَأَجُورَهُ الْعَظِيمَةَ.

الوجه الرابع: إيجابُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِلْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ، فَلَا تَأَلَّمْ وَلَا تَهَانَ بِابْتِدَالِ أَوْ مَشَقَّةِ أَوْ إِهَانَةِ الْخُرُوجِ لِكَسْبِ الرِّزْقِ كُلِّ يَوْمٍ.

حيث قال الله - عز وجل - موجبا النفقة على الرجل وممتنا على المرأة بمن
يكفيها: **{ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا
وُسْعَهَا }،** وقال الله - جل وعلا -: **{ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ
اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ }،** وصح أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وهو يخطب الناس بعرفة في شأن نفقة
النساء: **((وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ))**.

ألا فلتكثر المرأة: من القرار في البيت، ولتحدّر كثرة الخروج منه،
وتحتسب قرارها فيه عند الله ربها سبحانه، وتذكر نفسها وتجاهدها عليه إذا
ضعفت أو ملّت بأنها تطيع ربها بالقرار في البيت، وتكثر أجورها بتزك
الخروج، وتسير في طريق صلاح وإصلاح، وسبيل حفظ وسلامة، وباب
حسان لا سيئات.

والله سبحانه: خالق الرجل والمرأة جميعا، وهو - جل وعلا - أعلم بما
يصلحهما في حياتهما الدنيا، ويكون لهما رفعة يوم القيامة، فليرضيا بما
شرع لكل واحد منهما، ويطيعاه في كل ما أمرهما به ونهاهما عنه،
وسيسعدان كثيرا بسبب ذلك في الدنيا العاجلة والآخرة الآجلة، ويسلمان من
الفتن والشور والعذاب.

**{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ }.**

الخطبة الثانية:

الحمد لله الجميل في وصفه، الحكيم في أمره ونهيه، الرحيم بجميع خلقه،
والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد المبعوث بالسنة والقرآن، وعلى
آله وأصحابه، ومن أحبهم وكان على سبيلهم يسير.

أما بعد، أيها المسلمون:

فاتقوا الله - عز وجل - حق تقواه، وكونوا من عباده المتقين، فقد قال
سبحانه في وصف أهل تقواه ورضوانه: **{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ
مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ }.**

فأبان الله سبحانه في هذه الآية: أن المؤمن المتجمل بتقواه إذا مسه طائف
من الشيطان، فأذنب بفعل محرم عليه أو ترك واجب، أبصر وأفاق سريعا،
وأحسن في نفسه بألم ذنبه، وشؤم خطيئته، وثقل معصيته، فاستغفر الله ربه

التَّوَابِ، وَاسْتَدْرَكَ مَا فَرَّطَ فِيهِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالْإِكْتَارِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَأَقْلَعَ عَنِ الْعَصِيانِ وَالتَّقْرِيطِ، فَرَدَّ بِذَلِكَ شَيْطَانَهُ الَّذِي صَالَ عَلَيْهِ خَاسِنًا وَحَسِيرًا، وَأَفْسَدَ عَلَيْهِ كُلَّ مَا أُدْرِكُهُ مِنْهُ، وَعَادَ أَقْوَى مِنْ قَبْلُ وَأَكْمَلَ.

وَفِي تَأْكِيدِ هَذَا الْحَالِ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ الشَّيْطَانِ: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ }، وَصَحَّ: ((أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَزَلَّتْ: { أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ }، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلَيْ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي»)).

فَاللَّهُمَّ: اجْعَلْنَا مِنَ التَّوَّابِينَ وَمِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، اللَّهُمَّ: أَصْلِحْ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ صَلاَحًا يَتَنَعَّمَنَّ بِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَيَتَرَقَّيْنَ بِهِ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ: احْفَظْ عَلَيْهِنَّ دِينَهُنَّ وَخُلُقَهُنَّ وَعِفَّتَهُنَّ وَفَضِيلَتَهُنَّ، وَأَدْخِلَهُنَّ فِي عِدَادِ الْقَانِتَاتِ الْخَاشِعَاتِ الْحَافِظَاتِ لِفُرُوجِهِنَّ، اللَّهُمَّ: اغْفِرْ لَنَا وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، وَأَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا وَدُنْيَانَا، وَسَدِّدْ إِلَى مَرَاضِيكَ وُلاَتَنَا وَنُؤَابَهُمْ وَعُمَّالَهُمْ وَجُنْدَهُمْ، اللَّهُمَّ: ارفِعِ الضَّرَّ عَنِ الْمُتَضَرِّرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ: اخْتَمِ حَيَاتَنَا الدُّنْيَا بِرِضْوَانِكَ، وَجَمِّلْ آخِرَتَنَا بِالْفَوْزِ بِنِعْمِ جَنَّتِكَ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، وَأَقُولُ هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ.